تنبيه هام: هذا التفريغ ليس قابل للنشر، فلم يعتمد من الشيخ – حفظه الله– بعد، فمن وجد خطأً نرجو تنبيهنا عليه فوراً.

شَرْحُ كِتَابِ أَعْلَامُ السُّنَّةِ الْمَنْشُورَةِ لِلْحَكْمِيِّ

– رَحِمَهُ اللّهُ تَعالَى –

لِفَضِيلَةِ الشّيْخِ أسامَةَ بْنُ عَطَايَا العتيبِي

–حَفِظَهُ اللّهُ تَعَالَى –





دروس معهد البيضاء العلمية

الدورة الثالثة

تفريغ: طالبات معهد البيضاء العلمية

1431هـ - 1432هـ





بِسْمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيم

إن الحمد الله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)﴾[1]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾[2]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾[3]

أما بعد:

فإنّ أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد –صلى الله عليه وسلم– وشرّ الأمور محدثاتها وكلّ محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

فما زلت معكم في التعليق على كتاب أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، المشهور بكتاب 200 سؤال وجواب في العقيدة الإسلامية للشيخ العلامة حافظ بن أحمد الحكمي – رحمه الله تعالى– المتوفى سنة سبع وسبعين وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة النبوية، قال– رحمه الله تعالى– في السؤال الثالث والثمانين بعد المائة .

[1] - آل عمرن : 102
[2] - النساء : 1
[3] - الأحزاب : (70-71)

[المتن]

س184 : ما حكم الاستسقاء بالأنواء؟

الجواب : قال الله تعالى : ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢﴾ [1] وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ لاَ يَتْرُكُونَهُنَّ: الفَخْرُ بِالأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ، وَالاسْتِسْقَاءُ بِالأَنْوَاءِ وَالنِّيَاحَةُ" وقال صلى الله عليه وسلم: " قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِر، فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ "

[الشرح]

ذكر – رحمه الله تعالى – في هذا السؤال وجوابه مثل ما ذكر – شيخ الإسلام – محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله تعالى – في كتابه التوحيد في الباب التاسع والعشرين "باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء" وذكر في ذلك الباب ﴿قَالَ تَعَالَى وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢﴾ [2]

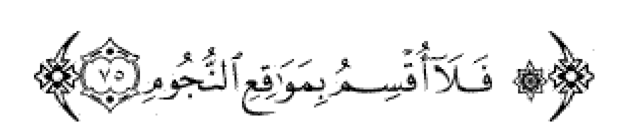
ثم ذكر حديث أبي مالك الأشعري "أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ "وله عنده تتمة ثم ذكر حديث زيد بن خالد الحديث القدسي " أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ " كذلك ذكر – شيخ الاسلام– محمد بن عبد الوهاب– رحمه الله– حديث بن عباس في معناه وفيه قال

---

[1] - الحديد : 82

[2] - الحديد : 82



بعضهم لقد سبق نوء كذا وكذا فأنزل الله هذه الآية 

[1]

إلى قوله : ﴿ تُكَذِّبُونَ ﴾[2]

- ما هو الاستسقاء بالأنواء؟

الاستسقاء هو طلب السقيا والمراد به هو طلب المطر وذلك إذا أجدب الناس وقحطوا وقلّ الماء فإنهم يحتاجون إلى أن يغيثهم الله –عزّ وجلّ –بالمطر، والمطر نعمة من الله– عزّ وجلّ – وهو بيده يُصرِّفُه حيث يشاء لا شريك له في ملكه– سبحانه وتعالى –

- حال أهل التوحيد في طلب السقيا:

والموحدون عند طلب السقيا يلجئون إلى الله–عزّ وجلّ– لأنه بيده الأمر وهو الذي ينزّل الغيث من بعد ما قَنَطُوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد– سبحانه وتعالى– فيخلصون لله– عزّ وجلّ – في دعائهم وطلبهم ويعلمون أن الله –عزّ وجلّ – بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير فيبتهلون إلى الله ويلجئون إليه ويستغفرونه استجابة لأمر الله ﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا (١٠) يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا (١١) وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا (١٢) ﴾[3]

[1] - الواقعة : 75
[2] - الواقعة : 82
[3] - نوح : (10-11- 12)

ورُوي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بسند فيه ضعف أنه خرج يستسقي للناس فما زاد على الاستغفار فقيل له في ذلك قال: ((لَقَدْ سَأَلْتُ اللهَ بِمَجَادِيحِ السَّمَاءِ)) يعني أني بما يُستسقى به ويحسن به الاستسقاء، لا شك أن الاستغفار أمره عظيم وهو بنص كتاب الله سبب من أسباب نزول البركة من السماء ونزول الخير ورحمة الله بعباده وكان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يستسقي أحيانا في خطبة الجمعة، وهذا أكثر أحواله أو هو المشهور من حاله فقد دخل عليه رجل وهو يخطب فشكى إليه القحط والجوع فادع الله أن يغيثنا فدعا رسول الله -صلى الله عليه وسلم -ربَّه فأغاثهم في حينها أسبوعا سبقا، المهم أنّ الرسول- عليه الصلاة والسلام -كان يستسقي في خطبة الجمعة ويشرع حينئذ رفع اليدين للإمام أو للخطيب وللحاضرين كما صحّ في ذلك الحديث.

كذلك كان الرسول- عليه الصلاة والسلام- يخرج ويستسقي ويصلي بهم صلاة الاستسقاء كصلاة العيد وكذلك كان الصحابة- رضي الله عنهم- إذا ذهبوا للاستسقاء فإنّهم يتبرّكون أو يتوسّلون إلى الله- عزّ وجلّ- بدعاء الرجل الصالح فيدعو الله أن يغيث النّاس فلا يسألون الرجل الصالح أن يغيثهم بل يطلبون منه أن يدعو الله ليغيثهم الله كما صحّ في البخاري عن عمر- رضي الله عنه- أنه قال في يوم قد قحطوا وفي سنة قحط: ((اللَّهُمَّ إنّا كُنّا نَتوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا -يعني بدعائه- فَإِنَّا نَسْتَسْقِي بِعَمِّهِ العَبَّاس قُمْ يَا عَبَّاسُ فَادْعُ)) وهكذا كان السلف يطلبون من الرجل الصالح الذي يرجون إجابة دعوته أن يخرج معهم في الاستسقاء ليدعو الله فلا يتبركون بذاته وإنما يطلبون من الله أن يستجيب دعاءه.

فهذا هو حال أهل التوحيد الإخلاص لله- عزّ وجلّ - في الدعاء والطلب فلا يطلبون من غير الله- جلّ وعلا- أن يغيثهم بماء السماء أو فيما لا يقدر عليه إلا الله- عزّ وجلّ-.

- حال أهل الشرك في طلب الاستسقاء:

ولكنّ أهل الإشراك وأهل البدع والخرافات فإنهم يلجئون إلى وسائل أخرى للاستسقاء فيلجئوا عامّة المشركين إلى من يعبدونهم من الأصنام والأوثان أو من القبور والأضرحة والمشاهد لتغيثهم بدل أن يخلصوا لله – عزّ وجلّ – ويلجئوا إليه يلتجئون إلى أهل القبور وإلى من يعبدونهم وقد كانت في القرى عادات سيئة في طلب المطر فقد كان في بعض قرى الحجاز إذا قُحِطُوا أتوا بشاة فألبسوها، ما أدري ماذا يلبسونها، لكن يلبسونها أشياء ثم يضربونها ويعذبونها ويجرّونها ويفعلوا القبائح في جسدها، الأذى والضرب، ويخرجون يهلّلون ويرقصون ويقولون: "يا أمّ الغيث أغيثنا" بدل أن يقولوا "يا الله" يقولوا "يا أمّ الغيث أغيثنا" فيجمعون بين الشرك وأذيّة البهائم، وقد يحصل في قدر الله –جلّ وعلا– أن يُقَدَّر نزول المطر حال دعاء المشرك أو عند فعلهم الشركي فتنة لهم وابتلاءً وامتحانا فليحذر أهل الإسلام من الشرك وأفعال أهل الإشراك وإن من حماية جناب التوحيد أن تنسب الأشياء إلى مُسبباتها

- المطر حق خالص لله تعالى:

والمطر إنما هو حقٌّ خالصٌ لله– جلّ وعلا – ليس سببه برودة جوّ ولا حرارته ولا طلوع نجم ولا أفوله ولا نزول قمر في نوء وطلوع رقيبه ولا غير ذلك بل نزول المطر هو بحول الله وقدرته نعم قد يوافق نزول نجم أو يوافق فصولا لكن ليس الفصل وليس النّوء وليست المنزلة وليس النجم هي الذي ينزل المطر أو يكون سبب في نزول المطر بل هو محض فضل من الله –جلّ وعلا– ورحمة بعباده وإن شاء منعهم المطر مع وجود جميع العلامات التي تحصل عادة فهذا الأمر بيد الله – جلّ وعلا – وهذا أمر مشاهد فنجد في شهر من الشهور في

عادة الناس في فصل الشتاء أن ينزل المطر ثم يأتي على الناس زمان في نفس الفصل وفي ظهور نفس النجوم وفي نزول القمر في منازله وأنوائه ومع ذلك لا يُمْطَرون ولا يسقوْن مما يدل على أن هذه ليست أسبابا ووجودها ليس حتما لنزول المطر بل هو محض فضل من الله– جلّ وعلا –لا بسبب من الأسباب الأرضية بل من الله– جلّ وعلا– لذلك إذا نسب نزول المطر إلى هذه العلامات الظاهرة التي ليست أسبابا لا شرعية ولا واقعية فهي ليست أسبابا، فلو نسبت الأمور إلى غير أسبابها ومسبباتها كان ذلك خاص فيما هو حق لله كان ذلك شركا.

فمن يقول إنما مطرنا بسبب النجم الفلاني أو بسبب النوء الفلاني، الذي هو منزل القمر لأن الأنواء بمعني منازل القمر، فهذا قد أشرك في لفظه وفي قوله مع الله– جلّ وعلا– هذه الأنواء، وهذه النجوم ولكنّ هذا من شرك الألفاظ إن كان يعتقد أنّ الله– جلّ وعلا– هو الذي ينزل المطر إنما هي علامات ودلالات للمطر ولكنه نسبه إليها، فهذا من الشرك اللفظي وهو من الشرك الأصغر لكن إن قصد أن المطر إنما ينزل بسبب النجوم وإنها هي التي تنزل المطر شريكة مع الله أو استقلالا فهذا لا شك في كفر معتقده كفرا أكبر، إذًا هذا معنى ما جاء في الاستسقاء بالأنواء.

- منازل القمر:

قال بن الأثير– رحمه الله– : "وهي ثمانٍ وعشرون منزلة – منازل القمر– التي هي الأنواء ينزل القمر كل ليلة منزلة منها ومنه قوله تعالى ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾[1]

[1] - يس : 39

يسقط في الغرب – يعني في المغرب– كل ثلاثة عشرة ليلة منزلة مع طلوع الفجر وتطلع أخري مقابلتها ذلك الوقت في الشرق فتنقضي جميعها مع انقضاء السنة، وكانت العرب تزعم أن مع سقوط المنزلة وطلوع رقيبها يكون مطرا."

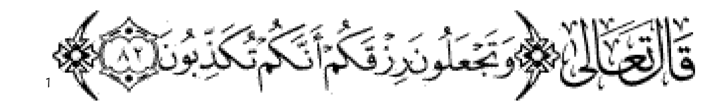
الرقيب: هو النجم الذي في المشرق إذا غرب القمر ظهر نجم مقابل منزل القمر فيقولون عنه الرقيب لأنه يراقب الغارب يعني القمر لما ينزل في منزلته تلك.

وكانت العرب تزعم أن مع سقوط المنزلة، سقوط القمر يعنى في منزلته، وطلوع رقيبها يكون مطر وينسبونه إليها فيقولون مطرنا بنوء كذا وكذا.

يقول ابن الأثير: "وإنما سمي نوءا لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق ينوء نوءا" أي نهض وطلع، فالأنواء هي المطالع والمراد بها النجوم التي تطلع إذا غرب القمر في منزلة من منازله الثلاثة عشرة التي ذكرها ابن الأثير– رحمه الله –

فإذًا المطر إنما ينسب إلى الله – جل وعلا– وإلى فضله ورحمته، لا إلى النجوم ولا إلى القمر ولا إلى الكواكب ولا إلى غير ذلك من الخلق.

[المتن]



[1]

[الشرح]

يعني تجعلون الأمر الذي رزقكم الله إياه وهو نزول المطر، تجعلون جزاء لهذا الرزق الذي رزقكم الله أنكم وقعتم في التكذيب والكفر بنسبة الأمر إلى غير صاحبه ومن هو أهله ومستحقه.

[1] - الواقعة : 82

قال ابن عباس –رضي الله عنهما–:"نزلت بالأنواء، كانوا إذا مطروا من الليل فإذا أصبحوا قالوا مطرنا بنوء كذا وكذا، وكان قولهم ذلك كفرًا"، يعني أنه من الكفر الأصغر تشبُّهٌ بما عليه المشركين، فِفعل المشركين هذا لاعتقادهم أن هذه النجوم هي التي تسبب المطر وهي التي تنزل المطر، فمشابهة المشركين في ألفاظهم وأفعالهم هو شرك أصغر، فإذا وافق عقيدة المشركين صار شركًا أكبرًا، فجعل الله –جلّ وعلا– هذا اللفظ بمثابة التكذيب لأنه فيه تشبه بالمشركين الذين يقولونه تكذيبًا.

قال ابن عباس: "وكان قولهم ذلك كفرا فأنزل الله–عزّ وجلّ–: ﴿وَتَجْعَلُونَ شُكْرَكُم عَلَى مَا أنزَلْتُ عَلَيْكُم مِنَ الرِزْقِ وَالغَيْثِ أَنَّكُم تُكَذِّبُون﴾ ولعل ما قاله ابن عباس هذا قد كان مما أنزل من القرآن ثم نُسخ تلاوةً وبقي حكمًا ومعنًى، وبقيت تلاوة قول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾[1] في هذه التي ذكرها ابن عباس– رضي الله عنهما–:" وتجعلون شكركم على ما أنزلت عليكم من الرزق والغيث أنكم تكذبون" يقول ابن عباس "مطرنا بنوء كذا وكذا" وهذا الحديث أصله في صحيح مسلم كما سيأتي، وهذا اللفظ للطحاوي في شرح مشكل الآثار.

[المتن]

ثم ذكر حديث أبي مالك الأشعري– رضي الله عنه– أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– قال:" أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي".

[1] - الواقعة : 82



[الشرح]

قبل هذا هناك معنا آخر في الآية غير ما يتعلق بنزول المطر، قال ابن القيم– رحمه الله– "أي تجعلون حظّكم من هذا الرزق الذي به حياتكم التكذيب به" يعني القرآن، قال الحسن:"تجعلون حظكم ونصيبكم من القرآن أنكم تكذبون" قال: "وخسر عبد لا يكون حظه من كتاب الله إلا التكذيب به"

قال الشيخ سليمان – رحمه الله –: والآية تشمل المعنيين.

[المتن]

ثم ذكر الحديث وهو حديث أبي مالك الأشعري – رضي الله عنه– أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– قال:" أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ بِالْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالْاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ"

[الشرح]

وقال: يعني هذه تتمة الحديث الذي لم يذكره الشيخ حافظ –رحمه الله– " النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سَرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ" وهذا الحديث خرّجه مسلم في صحيحه.

وأبو مالك الأشعري اسمه الحارث بن الحارث الشامّي وهو صحابي مشهور

[المتن]

وقوله في الحديث" أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ ".



[الشرح]

يعني مما كان يفعله أهل الجاهلية، ومن خصالهم وصفاتهم التي اشتهروا بها.

- مفهوم الجاهلية:

والجاهلية يعني وصف لما قبل بعثة رسول الله –عليه الصلاة والسلام– وسميت هذه الفترة بالجاهلية لغلبة الجهل وكثرته، وقلة الهدى والخير حتى أنه لا يكاد يوجد.

يقول الشيخ سليمان –رحمه الله–: "وكل ما يخالف ما جاءت به الأنبياء والمرسلون فهو جاهلية منسوبة إلى الجاهل، فإنّ ما كانوا عليه من الأقوال والأعمال إنما أحدثه لهم جاهل وإنما يفعله جاهل، وما نُسِبَ إلى الجهل والجاهلية فهو مذموم يجب تركه والنأي بالنفس عنه، لأن الإنسان إنما يستنير بالعلم ويهتدي بالهدى، وهو خلاف الجهل والضلال، فكل ما كان من أمر الجاهلية منسوبًا إليها فهو ضلال؛ وإن كان في زمن الجاهلية يوجد بعض الخصال الحسنة من الكرم والشجاعة ونحو ذلك، لكنّ هذه الخصال لا تنسب إلى الجاهلية، إنما ينسب إلى الجاهلية ما كان مصدره الجهل والضلال، كما قال–جلّ وعلا :

﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾[1]

وكذا في الحديث: "إِنَّكَ امْرُؤ فِيكَ جَاهِلِيَّة"، فأي شيء يُنسب إلى الجهل والجاهلية فهو مذموم.

[1] - الأحزاب : 33

- حكم وصف المجتمعات الإسلامية اليوم بأنها مجتمعات جاهلية

ووصف المجتمعات الإسلامية اليوم بأنها مجتمعات جاهلية عدوان أثيم، ولا يصدر من أهل التوحيد الذين يعرفون منزلة دولة التوحيد، هذه البلاد السعودية نصرها الله وأعزها التي رفعت راية التوحيد منذ أكثر من مائة عام تدعوا إلى الله –عزّ وجلّ– وإلى توحيده وإخلاص العمل له، وحاربوا أهل الشرك ووطدوا دعائم مُلكهم بنصرة التوحيد وأهله، ولا يعني ذلك خُلُوُّهُم من الخطأ والزّلل فهذا لا يكاد يسلم منه أحد بعد الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام– وإن كان يَقِلُّ الخطأ والزلل كلما كثر العلم والهدى والخير، فأعظم الأزمنة هو ما كان قريبا من رسول الله –عليه الصلاة والسلام– أعني في هذه الأمة، فخير الناس القرن الذي عاش فيه الرسول –صلى الله عليه وسلم– وكان فيه بعده الخلفاء الراشدون ومن سار على طريقتهم أهل الهدى والخير من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم– ومن سار على دربهم وطريقتهم كعمر بن عبد العزيز –رحمه الله– فكل من سار على طريقة الخلفاء الراشدين وطريقة أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فكلهم على خير وهدى، ولا يُعلم بعد عهد القوة والتمكين في الدولة العباسية منذ زمن هارون الرشيد ثم زمن الأمين ثم– باستثناء زمن المأمون فقد حصل فشل عظيم بالمحنة التي امتحن الناس بها بإلزامهم على الكفر بالله بالقول بخلق القرآن– ثم عهد المتوكل على الله–عزّ وجلّ– الذي نصر السنة وقمع البدعة، وبعد المتوكل لا يُعلم دولة قامت بالتوحيد مثل هذه البلاد السعودية كما قال الشيخ العلامة حمّاد الأنصاري –رحمه الله– فإنه قال: "لا يُعلم بعد الدولة العباسية من قام بالتوحيد ونشر التوحيد مثل هذه البلاد" والحمد لله على نعمة الإسلام والسنة، والحمد لله على ما وفّق به علماء أجلاّء في غير هذه البلاد في نشر دعوة التوحيد، فكان في الهند أهل الحديث نشروا السنة وقاموا بالدعوة السلفية، وكذلك في الشام ومع ظهور الشيخ محمد



ناصر الدين الألباني–رحمه الله–ونشره للسلفية–رحمه الله– كذلك في مصر وما قام به طلائع أنصار السنة المحمدية على رأسهم الشيخ محمد حامد الفقي ومن معه من أهل التوحيد، وهكذا في جميع أنحاء العالم قامت دعوات سلفية قائمة على التوحيد في المشرق والمغرب والشمال والجنوب، فكان هذا العصر عصر صحوة استيقظ الناس من غفوة المشركين وغفوة الجاهلين التي كانت عمت وطمت في بعض الأماكن، واستضاءوا بنور التوحيد الذي خرج من جزيرة العرب ومن نجد على سبيل الخصوص منذ أكثر من مائتين وخمسين سنة، ولكن هذه الدولة السعودية قامت قبل مائة سنة تقريبا، نشرت التوحيد وأعلت مناره، فلا يُقال عن هذا الزمان ولا قبل مائة سنة إننا نعيش في جاهلية، إن الذي يعيش في جاهلية هم أهل الهوى؛ هم أهل الجهل والضلال الذين ركنوا إلى الفلسفة وعلم الكلام وركنوا إلى زبالة أذهان الفلاسفة، ونحوهم من أهل البدع وعلى رأسهم الخوارج والروافض هؤلاء الذين يعيشون في جاهلية، وهؤلاء الذين ينظرون إلى العصر الحاضر بأنه عصر قاتم وعصر جاهلي، وقد كان يشكو مما يشكو منه سيد قطب، محمود الحدّاد الذي يزعم أنه ينصر التوحيد والسنة ويحتفل بكتب العقيدة السلفية، كان هذا الرجل يعيش في ظلام دامس ويشكو وحدته وغربة زمانه، وكان لا يكاد يرى أحدًا من الناس على الحق والهدى، بل يرى أنه وأفراد معددون هم على الحق، كما كان سيد قطب يرى أنه هو وأفراد محدودون على الحق فقط، وما سواهم ضال مضل، لكن سيد قطب كان يصرح بتكفير مخالفيه، وأما محمود الحدّاد فكان يبدع مخالفيه ويعاملهم معاملة الكفار، بتحريم الترحم عليهم والسلام عليهم والصلاة عليهم إذا ماتوا، فكان هذا الرجل قطبيًا من وجه من الوجوه، فالحمد لله العصر الحاضر مع ما فيه من تسلط الكفار على المسلمين؛ وما في كثير من بلاد المسلمين من المحن والفتن والبلاء؛ وما يغلب في بعض الأماكن من الجهل وعُبَّاد القبور وغلبة المتصوفة،



إلا أن الغالب على الأمة الإسلامية والحمد لله الحق أصبح واضحًا وأصبح أهل السنة في عزة وتمكين في كثير من البلدان وخاصة في بلاد التوحيد والحمد لله على ذلك، ولا يقول إن عصرنا عصر جاهلية إلا رجل عنده نزعة خارجية والله أعلم.

[المتن]

يقول الرسول – عليه الصلاة و السلام –:" أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ ".

[الشرح]

يعني أن هذه الخصال موجودة في أمته – صلى الله عليه وسلم – التي هي أمة الإجابة ممّا يدلّ على أنّ هذه الأفعال من المعاصي والذنوب التي ليست مخرجة من الملة، وأنها موجودة في الأمّة ما تتركها الأمّة إلى قيام الساعة، وهذا واقع لا محالة، وهذه الصفات ذكر أولها.

[المتن]

قال: "الفَخْرُ بِالأَحْسَابِ"

[الشرح]

يعني يفتخر بآبائه ويتعاظم على غيره بشرف آبائه وأجداده بذكر فضائلهم ومآثرهم ومناقبهم، بدل أن ينظر إلى عمله ويصلحَ حاله يلتفت إلى آبائه وأجداده، يقول الشيخ

سليمان –رحمه الله – "وذلك جهل عظيم إذ لا شرف إلا بالتقوى" كما قال – جلّ وعلا– :

﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾[1] و قَالَ تَعَالَى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[2]

وروى أبو داود عن أبي هريرة – رضي الله عنه–مرفوعا :"إِنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الجَاهِلِيَّة وَفَخْرَهَا بِالآبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ أَوْ فَاجِرٌ شَقِيّ، النَّاسُ بَنُو آدَم وَآدَمَ مِنْ تُرَابٍ، لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهَمْ بِأَقْوَامٍ إِنَّمَا هُم فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنَ الجُعْلاَنِ التِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتَنَ" وهذا الحديث أيضًا رواه الإمام أحمد ورواه الترمذي وهو حديث حسن.

والعجب أن يفتخر الناس؛ يقول فلان قرشي وفلان تميمي، فلان قبيلي وفلان خضيري، فلان يعني من قبائل محافظة على النسب، سبحان الله هذا الذي هو من أيّ عائلة كانت يرجع إلى من؟ إلى آدم –عليه السلام– آدم هو أبي وأبوك، كلنا يرجع نسبنا إلى نبيّ، جدّي أنا وأبي هو آدم عليه السلام؛ هو نبي مكلّم كما قال –صلى الله عليه وسلم– أنا وأنت مهما بلغت أنت من الشرف بالحسب فأنا وأنت وأضعف مخلوق على وجه الأرض نرجع إلى أب واحد وأمّ واحدة؛ آدم وحواء، هذا أصلي وأصلك مهما تعددت الوسائط والقبائل، وكلنا نرجع قبل ذلك إلى نوح – عليه السلام– نوح –عليه السلام– ذريته هم الباقون، فأنا وأنت وأبي وأبوك نوح – عليه السلام – ثم أبي وأبوك أيضا آدم – عليه السلام – ما الفرق بيني وبينك إذا؟ كلنا مهما تعددت الوسائط والقبائل في الوسط سنعود إلى أبٍ واحد وإلى نسبٍ واحد، لذلك

[1]- سبأ : 37
[2] - الحجرات : 13

الإنسان لا يفخر بالأحساب كلنا أبناء آدم ليس أنت أبناء الملائكة و أنا لست من أبناء الملائكة ألا كلنا من أبناء آدم ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)﴾ [1]

وإنما هذه القبائل والشعوب للتعارف ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)﴾ [2]

- حكم من يفتخر بنسبه :

فالذي يفتخر بنسبه وقبيلته ويقول أنا قبيلي وأنت قبيلي هذا دليل على أنه جاهل ولو كان دكتورًا أو أستاذًا ولو بلغ من العلم ما بلغ فهو جاهل والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصفه بالجهل فنحن نختم على من يفتخر بنسبه ويقول أنا من القبيلة الفلانية فخرًا على غيره نعطيه ختم محمد ـ صلى الله عليه وسلم – "أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّة "

نقول له يا جاهل هذا ختم على جبين كل شخص يفتخر بنسبه على غيره.

- سبب الحكم على من يفتخر بالأنساب بالجهل :

كلنا لآدم و آدم من تراب وأنت من أبوين إنما أبوك أدّى شهوته مع أمك فخرجت أنا وأنت سواء ما في فرق كلنا أبناء آدم كلنا عبيد الله الأبيض والأسود والأحمر والأصفر كلهم عبيد الله يعبدون الله وهم أبناء أبٍ واحد وأمٍ واحدة غير ذلك بالافتخار بالأحساب والأنساب هذا على غيره ويتكبر على الناس بحسبه هذا جاهل بشهادة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

[1] - الحجرات : 13
[2] - الحجرات : 13



[المتن]

ثم ذكر الأمر الثاني وهو: الطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ.

[الشرح]

يعني أنه يذمّ نسب غيره بل حتى لو طعن في نسبه هو لكان فاعلاً شيئا من أمر الجاهلية إذ شاركهم في الوصف العام ألا وهو الطعن في الأنساب ومما يدخل في الطعن في الأنساب هو نفي الشخص الفلاني أن يكون من القبيلة الفُلانية بعد ثبوته نسبًا أو شُهر بذلك النسب، فالطعن في الأنساب يكون من وجهين:

الوجه الأول: ذم القبيلة المخالفة أي نسب المخالفين ذم نسبهم وعيبه

الوجه الثاني: نفي الرجل عن قبيلته واتهامه أنه ليس منهم مع ثبوت ذلك منهم

أما إذا كان معروفًا أن هذا ليس من القبيلة الفُلانية أو أنه مولى أو أنه لصيق دخل معهم وليس منهم بما هو معروف لدى القبيلة فهذا ليس من الطعن في الأنساب بل هو من تحريرها فالذي ينتسب إلى الأشراف مثلا وهو ليس منهم هذا لو قيل له أنت ليس من آل البيت لا يعد طعنًا في الأنساب إذا كان الأمر والواقع كذلك كما حصل من العُبَيْدِيِّين الذين تسموا بالفاطميين وحاربوا التوحيد والسنة ونشروا اللفظ ومذهب الباطنية فهؤلاء انتسبوا إلى آل البيت زورًا وبهتانًا واجتمع أئمة آل البيت في زمانهم وبينوا أنهم مبطلون وكاذبون وليسوا من آل البيت وهذا مشاهد عند كثير من الرافضة اليوم ينتسبون إلى آل البيت وهم كذبةٌ فجرة.

ومن أطرف ما يذكر في هذا الباب استدلال بعضهم على أنه من آل البيت بمنام رآه وبفعل حصل له وهو الصوفي الخرافي محمد متولي الشعراوي الذي زعم أنه من آل البيت لحادثتين:



الأولى: أنه رأى في المنام الست نفيسة أمامه بدون حجاب فقال هذا يدل على أني من محارمها من آل البيت.

والأمر الثاني: الذي استدل به هذا الخرافي أنه من آل البيت أنه لمّا كان يدرس كانت له شُقة مقابلة لقبر الست نفيسة أظن ذلك أو الحسين لا أدري أيهما أظن الست نفيسة يقول فكان كلما علق ستارة على الشُباك المُشرف على القبر سقطت الستارة هذا دليل على أنها لا تحتاج إلى ستارة وكان يستمد يعني من الست نفيسة حال دراسته في الأزهر يعني بالاستغاثة والطلب وهذا شرك أكبر.

- الانتساب إلى القبائل:

المهم أن الانتساب إلى القبائل لابد إما أن يكون ثابتـًا بفصيلة النسب واشتهار النسب أما إذا كان ثبت أنه ليس من تلك القبيلة وادّعاها وادّعائه

واضح وهناك دليل فحينئذ نفيه عن تلك القبيلة ليس من الطعن في الأنساب ولكن إذا لم يكن هناك دليل وعائلة الشخص تنتسب إلى تلك القبيلة ولا يوجد دليل على نفيها فالواجب حينئذ السكوت وعدم الطعن إذا لم يوجد دليل على الأثبات ولا دليل على النفي فيجب حينئذ السكوت أما الطعن حينئذ فيكون هو مما يدخل في هذا الحديث والذي يطعن في أنساب الآخرين بدون بيّنة ولا علم خاصة عند خلاف المناهج فهذا يقال له يا جاهل أيضا يعني يوصف بأنه جاهل بشهادة الرسول – صلى الله عليه وسلم – أنّ هذا من فعل أهل الجهل والجاهلية.



[المتن]

والأمر الثالث قال: وَالْاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ

[الشرح]

في الحديث أو في الرواية الأخرى "بِالأَنْوَاءِ" والاستسقاء بالأنواء أو بالنجوم يعني نسبة السقيا ومجيء المطر إلى النجوم والأنواء كما سبق ذكره وهذا على حالين:

الأول: أن يعتقد أن نزول المطر من النجم مباشرة وأنه هو سبب ذلك وأنه هو الذي يأتي بالمطر ليس الله أو هو شريك مع الله وهذا كفر أكبر وهو شرك في العبودية.

الثاني: أنه ينسب نزول المطر إلى النجم من باب العلامة مع اعتقاده أن الله – عزّ وجلّ – هو الذي ينزل المطر فهذا من الشرك الأصغر.

- حكم من ينسب المطر إلى النجم من باب العلامة :

وقد حكى بعض العلماء خلافا فيه إذا كان قصد أن الله أجرى العادة بوجود المطر عند ظهور ذلك النجم ففي مذهب الإمام أحمد قيل بأنه مكروه وقيل أنه حرام وصرّح أصحاب الشافعي بجوازه، قال الشيخ سليمان – رحمه الله -: "والصحيح أنه محرم لأنه من الشرك الخفي وهو الذي أراده النبي - عليه الصلاة والسلام - وأخبر أنه من أمر الجاهلية ونفاه وأبطله وهو الذي كان يزعم المشركون ولم يزل موجودا في هذه الأمة إلى اليوم".



- عقيدة الصحابة :

ومن كان يعتقد أن أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كانوا يشركون في الربوبية فقد أبطل وجهل الذين نزلت فيهم الآية أصحاب الرسول – عليه الصلاة والسلام – ما صدر منهم شرك في الربوبية وإنما حصل الكلام في اللفظ فوقع التنبيه والتعليم من الله – جلّ وعلا – لعباده هذا في زمن نزول الوحي فبين لهم أن هذا من الشرك ولكنه ليس من الشرك الأكبر بل من الشرك الأصغر وهو من الشرك الخفي كما ذكر الشيخ سليمان – رحمه الله – وهو مما شرع حماية لجناب التوحيد ولسد ذرائع الشرك ولو بالعبارات الموهمة التي لا يقصدها الإنسان كما قال لرجل قال له: "مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ قَالَ: أَجَعَلْتَنِي للهِ نِدًّا بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ"

يقول الشيخ سليمان: "وفيه التنبيه على ما هو أولى على ما هو أولى بالمنع من نسبة السقيا إلى الأنواء كدعاء الأموات سؤالهم الرزق والنصر والعافية ونحو ذلك من المطالب فإن هذا من الشرك الأكبر سواء قالوا إنه شفعاؤنا إلى الله كما قال المشركون ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[1]

أو اعتقدوا أنهم يخلقون ويرزقون وينصرون استقلالا على سبيل الكرامة كما ذكره بعض عباد القبور في رسالة صنفها في ذلك" إلى آخر كلامه – رحمه الله –

[المتن]

ثم ذكر الأمر الرابع الذي من خصال الجاهلية: النِّيَاحَةُ

[1] - يونس : 18

[الشرح]

أي النياحة على الميت وذلك برفع الصوت بالبكاء والصراخ بسبب موت الميت لأن هذا من التسخط لقضاء الله ومعارضة لأحكامه وسوء أدب مع الله كما قال الشيخ سليمان–رحمه الله –: والواجب هو الصبر والتسليم .

- منزلة الرضا بقضاء الله :

ويستحب الرضا بقضاء الله وقدره لكن الواجب الصبر واختلف العلماء في الرضا هل هو واجب أو مستحب ورجح شيخ الإسلام – رحمه الله – أنه مستحب أما الرضا عن الله فلا شك فيه لكن الرضا بقدر الله هذا من العلماء من قال أنه واجب لكن الصبر لا شك في وجوبه كما قال – صلى الله عليه وسلم –: "إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى" واصبروا فقد أمر الله بالصبر في آيات عديدة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾[1]

وفي تمام الحديث الذي لم يذكره الشيخ حافظ–رحمه الله– " النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا "

- معنى النائحة :

النائحة التي تمتهن النياحة سواء كانت مستأجرة أو كانت ثكلى أو فقدت ميتا فكلاهما متوعد بهذا الوعيد، والنائحة إذا لم تتب يعني قبل موتها في رواية لم تتب قبل موتها

[1] - آل عمران : 200



- صور عذاب النائحة :

"النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ"

أما إذا تابت فمن تاب، تاب الله عليه إذا كان قبل الغرغرة وقبل طلوع الشمس من مغربها قبل غلق باب التوبة، ويوم القيامة تقام يعني تبعث من قبرها على هذه الصورة وهي أنها عليها سربال من قطران والسربال واحد السرابيل وهي الثياب والقُمُص يعني أنهن يلطخن بالقطران فيصير لهن كالقميص حتى يكون اشتعال النار والتصاقها بأجسادهن أعظم ورائحتهن أنتن وآلامها بسبب الجرب أشد كما قال القرطبي – رحمه الله– في كتابه المفهم، والقطران هو النحاس المذاب ودرع من جرب الدرع ما تلبسه على صدرها المرأة من جرب كلمة الجرب معلومة ويصيبها بالحكة الشديدة فهي عليها قميص من قطران وثياب من قطران ودرع من جرب على صدرها تحكه مما يزيد في عذابها والله المستعان.

ثم ذكر حديث زيد بن خالد قال: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –صَلاَةَ الصُّبْحِ فِي الحُدَيْبِيَة – أي زمن صلح الحديبية – عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ – يعني مطر– فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَم، قَالَ: قَالَ "أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ" يعني الذي يقول مطرنا بفضل الله ورحمته فهذا مؤمن بالله – عزّ وجلّ – ونسب الأمور إلى أهلها وكافر بالكوكب أي أنه لا يؤمن به بل يجحد أن يكون للكوكب أي أثر في نزول المطر، أما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فهو مؤمن بالكوكب كافر بالله – جلّ وعلا– على التفسير السابق، والمراد بالكفر هنا كما قال الشيخ سليمان الكفر الأصغر أما إذا نسبه إلى الكوكب والنجم خلقا وإيجادا فهذا هو شرك المشركين وهو شرك أكبر وفي حديث أبي هريرة – رضي

الله عنه – قال الله تعالى: " مَا أَنْعَمْتُ عَلَى عِبَادِي مِنْ نِعْمَةٍ إِلَّا أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِهَا كَافِرِينَ " وفي حديث ابن عباس في مسلم: " أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ وَمِنْهُم كَافِرٌ" إذا أصحاب رسول الله – عليه الصلاة و السلام – هم أهل الثناء على الله – جلّ وعلا – القائلون بنسبة المطر إلى الله – جلّ وعلا – وأما أهل الإشراك و من أخطأ من هذه الأمة فإنه يقول مطرنا بنوء كذا وكذا أهل الإشراك على سبيل التصريف والإيجاد أو الشراكة أو كما يعتقد عباد القبور على سبيل الكرامة أمّا من هذه الأمة من يعتقد أن الله – جلّ وعلا – هو الذي ينزل المطر وإنما هذه علامات فهؤلاء قد وقعوا في الشرك الأصغر شرك الألفاظ فيجب عليهم أن يجتنبوا هذا الأمر، هذا هو الذي يجب على الموحد أن يوحد الله – جلّ وعلا – وأن يخلص له في عمله وفي اعتقاده وفي قوله فيبتعد عن كلّ لفظ يوهم الباطل.

و بهذا القدر أكتفي والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد والحمد لله رب العالمين.

- تنبيه :

و أريد أنبه إلى أنه ما ثبت عن أحد من الصحابة ليلة الحديبية أنه قال مطرنا بنوء كذا وكذا لكن هذا اللفظ على سبيل العموم فمن عباد الله من قال كذا وكذا ومن عباد الله من قال كذا وكذا والله أعلم ولكن أصحاب رسول الله –عليه الصلاة والسلام– قد تصدر منهم بعض الأقوال فيعلّمهم نبيهم –صلى الله عليه وسلم– ويرشدهم كقوله لمن قال"مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ قَالَ: أَجَعَلْتَنِي للهِ نِدًّا بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ " ونحو ذلك من الأمثلة والله أعلم.